حول التعريف بالشعر الألماني الحديث

# الشاعر جونتر أيش

بقلم الدكتور ميشال جحا

يعد جونتر أيش Guenter Eich (١) في طليعة الشعراء المعاصرين الذين طبعوا الشعر الغنائي بطابع جديد بعد سنة ١٩٤٥ — اي بعد الصدمة القاصمة التي نزلت بالشعب الالماني — وفي طليعة الذين حاولوا ان يفتشوا عن الكلمات بعد الفراغ المثائب . كانت تلك المحاولة ضربا من المحال — بعد ان فقدت الكلمات مدلولاتها وأصبحت مضغة في الافواه ، نيئة ، وبعد العديد من الحوادث التي جعلت الكلم هزءا وسخرية — كيف يمكن المرء ان يبدأ من جديد بنحت الكلمات ويكتب الشعر والنثر والمسرحيات ؟

وبرغم ذلك كان حظ الادب الالماني المعاصر كبيرا لانه بات على الادباء والشعراء ان يبدأوا من جديد . ان الحياة المزورة بدت وكأنها قد تحطمت مع الحرب الطاحنة وبات بوسع الاديب والشاعر الالماني ان يعيدا النظر من جديد في القيم . يومها تعلم الشاعر ان يقدر الاخلاص ولم يبق لديه ما يخفيه خوفا من الاستبداد . الالقاب ، والنياشين والمال فقدت قيمتها . ولم يبق للشعب من حضارته ومدنيته سوى الدمار بعد ان انهارت كل قواه .

وكان من البديهي ان يرتد الشاعر الالماني على الحرب يكرهها ، وان يكن ليس من السهل ان ينساها — والمرء لا ينسى وانما يعتاد .

وان التجربة التي خلفتها له اهوال تلك الحرب الضروس تجربة واسعة . والى اليوم لا يزال بعض صرعى تلك الحرب ومجانينها على قيد الحياة . فالجندي الذي كان عليه ان يترقب الموت كل لحظة ويترقب فوق ذلك ما تجلبه اللحظة هذه من أخطار وويلات او انفراجات أملٍ لا يمتد الا الى حين ، ينبطح على الارض ينشق رائحة الحرائق ممزوجة برائحة الزهور ، يضحك او يبكي من الخوف والجنون ، ذلك الجندي لا تزال صورته حية ماثلة في ضمير الشاعر .

هذا ما كان حتى سنة ١٩٤٥ . ومنذ ذلك الوقت بات على الشعر الالماني ان يعوض عما فقده اثناء الحرب من اقفال الكوة التي كان يطل منها على الشعر العالمي . لم يعد شعرا في قفص . فقد فتحت النافذة وأطل الشعر الالماني الحديث على الشعر الاوروبي والاميركي وتأثر بمدارسه المختلفة وكانت الانطلاقة والتلقح بالشعر الحديث .

ولا شك ان الحرب تركت أثرها في الشعر الالماني الحديث والادب عامة . وأثرها هذا ينقسم الى أثر مباشر وأثر غير مباشر . اما أثرها المباشر فهو فيما تركته من كلمات وتعابير « حربية » تأخذ طريقها الى الشعر وتصبح مادة له ، تصبح من مدلولاته . وهذه التعابير شائعة عند أكثر الشعراء المعاصرين .

واما أثرها غير المباشر فهو في الجو والموضوع ورجعة الشاعر الى زمن الرعب واختباراته الشخصيه التي اضحت بمثابة خزان يرجع اليه في قصيدته . وبفضل الحرب فقد الشعب الالماني عاصمته الاصلية واستعاض عنها بعاصمة موقتة ، وفقدان العاصمة له أثره على الشعر بحيث انه جعل من المتعذر التقاء الشعراء بعضهم ببعض الامر الذي جعل في المانيا اليوم أدبين : أدب غربي وأدب شرقي ، والفرق بينهما واسع والاتجاه مختلف .

ولد جونتر أيش سنة ١٩٠٧ وعاش في برلين ودرسدن وباريس وقد حصل على عدة جوائز ادبية ، وينتسب الى « جماعة الشعراء ٤٧ » وهي جمعية للشعراء الالمان المحدثين . وهو معروف « بتمثيليات الراديو » (١) التي ألفها وقد اصبح تمثيل الراديو فنا رائجا من فنون الادب .

ولقد استطاع جونتر أيش — وهو صانع ناقد ومجدد في الشعر — ان يلتفت في كتبه التي ألفها بعد سنة ١٩٤٥ « المزارع البعيدة (٢) و « قطار تحت الارض » الى اختباراته التي بدأها في سنوات ما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٩ .

ظهرت اشعاره الاولى في « منتخبات الشعراء الغنائيين الجدد (٣) تحت اسم مستعار « ارش جونتر » ، وفي سنة ١٩٣٠ اخرج أيش مجموعته الخاصة « اشعار » (٤) التي ظهرت ثانية في عدد خاص من مجلة « كنتورن » (٥) . وفي هذه المحاولات الاولى يظهر اسلوب أيش واضحا . الصور محددة والنغم حالم ، والكلام عنده ليس ممغوطا بل هو مفصل على قدر المعنى . وهذا ما ساعده ، بعد الحرب ، على ان يقول ما هو كائن وما هو ضروري .

ويحمد النقاد لجونتر أيش أنه رفع النقاب عن الحوادث الاخيرة التي كان قد لفها حجاب من الضباب .

ففي مجموعته الشعرية الاخير « رسل الامطار » (٦) التي صدرت سنة ١٩٥٥ يبدو لنا أيش وهو يعالج المشاكل الفلسفية الكبرى ، يطرح السؤال الملحاح ويتعرض لعلة الوجود وحرية النفس . وهو ، على الرغم من انه لم يكن

(١) Hoerspiele
(٢) Untergrundbahn
(٣) Anthologie Juenger Lyrik
(٤) Gedichte
(٥) Konturen
(٦) Botschaften des Regens

(١) قام الشاعر بزيارة لبنان وبعض الدول العربية في نهاية العام الماضي .

نازيا ، لا يشمت بهزيمة النازية بل يهزأ منها . والشعر عنده اكتشاف للمجهول في مظارح بكر حيث يضع لنا معالم الطريق وحجارة المسافات بواسطه القصيدة والحوار ، وهو يسعى ليقنعنا بأن قوى العالم الاشد مقاومة تبدو سهلة وناعمة ـ انه حتى دكتاتورية النازية يمكن جرحها ـ « ان القرارات الفاصلة تحدث في طيران الحمام » .

استعمل أيش طرقا مختلفة لكي ينقل هذه الحركات واللحظات . استطاع شعره أن يتناول لغة السرياليين والتأثريين الاوائل ويضيف عليها من عنده كلمات جديدة . وفي قصيدته « كشف حساب » ، التي نثبت ترجمتها هنا، والتي كتبها سنة ١٩٤٥ والتي تصور الاسر يستعمل لغة مجردة يظهر ذلك في تعداد امتعة الاسير واشيائه ، وهو لا يقيد نفسه بهذا التعداد بل ينقل القارىء الى جو الاسر والمعتقل بواسطة تحديد الحالة ، دون ان يتناول موضوع الاسر ويفكر فيه . والقارىء لا ينقل فقط الى الجو بل يأخذ موقف المقرر . وهذا الموضوع المرعب يأخذ طريقة ويظهر نفسه بعبارات قصيرة موجزة خالية من الزخرف والتنميق . وليس لهذا الشعر الغنائي عند أيش مواضيع خاصة ـ كما جرت العادة ـ مثل الحب ووصف الطبيعة وما اليه وانما يتناول كل المواضيع ، وحتى القبيحة منها ، ويعالجها ويظهر ذلك في عدد من قصائده امثال «الى قبرة» و « مبولة » .

وجونتر أيش ضد استعمال الكلم المألوف ، فهو يجعل من لغته لغة دقيقة المدلول محددة . وعلى الرغم من ان لغته موجزة فهو قادر دائما على اظهار الفروق الدقيقة، وهو ينظر نظرة شاملة الى عمله الفني ، لا ينظر الى تفاصيل اللوحة بل الى مقدمتها ومؤخرتها كوحدة كاملة ، والمقدمة والمؤخرة متداخلتان عنده متحركتان . ففي « نوم شجرة الفخهولدر » يفكر في العدم وفناء الاشياء ويبحث لها عن علة وسبب . وفي شعره حديث عن وحشة الإنسان التي يبحث لها ايضا عن معنى وطعم . فهو يسأل في شعره مثلا « هل الملك مثل ألمي » ؟ .

الصور تتلازم وتتماسك في كل شعره ، صور الفناء والحركة والتحول . وهي لا تظهر أيش كمؤلف ساكن هادىء ولكن كمؤلف منذر ثائر يريد ان يزعزع اعتقادات الناس . وهذا يجعله يبحث عن صور جديدة وصلات جديدة بين الكلمات .

في ديوانه « المزارع البعيدة » نجد الدجاج والبط يجعل من أرض الدار قادورة خضراء حيث ينبعث من الارض « دخان كمثل قصيدة نارية » . يسبح في « ضوء الفراشات » بيت من الشعر وهل لا يزال يحيا الاسكندر وقيصر « اكبر الاسماء في التاريخ » في مروج وحقول الشمندر . وفوق أرض المعتقل ، حيث القش يتحول الى غبار ، تغني القبرة كما لو ان الارض الصلبة قد تحولت الى حقل من القمح :

« لا تغني لنا أغاني للنوم مزورة .
« كوني لنا رسولا وغني المستقبل البارد
« المتهلل .

الاختبار الناتج عن العشب المداس يحقق اللحظة التي تعيش في القبرة وضوء الفراشات . وهذه اللحظة المتحركة التي دخل فيها اسماء من أعالي الماضي تجد وجودها في توتر اللحظة ( العشب المداس الذي أصبح غبارا ) .

صور أيش لها قفزة الفارس بين الاضداد التي يتحدث عنها لوركا والى جانب صورة العشب المداس المشحونة بالتغير والفناء نجد اللحظة الشعرية المتحررة . وبينما لم يستطع أي كاتب الماني بعد سنة ١٩٤٥ ان يجمع بين مشاكل اليوم البائسة والشعر الحساس فان جونتر أيش استطاع ان يردم الهوة بين الادب الحديث والحياة اليومية .

والدليل الاخير على حوار أيش مع نفسه حول الاسئلة المتعلقة بالحياة اليومية ، الذي يثيرنا ، هو خطابه الذي القاه حين تسلم جائزة « بوشنر » الادبية : هذه الاسئلة الملحة لها اساسها في معرفة الكلمة المهموسة .

لقد قال جونتر أيش للمرة الاولى أشياء كثيرة مما يستطيع ان يحصل عليه كل واحد منا فقط في حالة نصف لا شعورية . كثيرا ما قالها بنوع خاص من النكتة والبشاشة .

اشعار جونتر أيش وثائق للادب الناقد السائل الملح لما بعد سنة ١٩٤٥ وفي المانيا يبقى جونتر أيش واحدا من أصدق ممثلي هذا الادب .

**ميشال جحا**

---

**كشف حساب (١)**

*

هذه طاقيتي .
هذا هو معطفي ،
هذه آلة الحلاقة
في كيس من كتان

علبة محفوظات :
صحني وطاسي ،
لقد حفرت اسمي
على الصفيح الابيض .
محفور هنا بهذا
الدبوس الثمين ،
الذي أحميه
من العيون الحاسدة

في جراب الخبز
زوج من الجوارب الصوف
واشياء ، لا
أبوح بها لاحد ،
يقوم مقام وسادة
في الليل لرأسي .
ولوح الكرتون يتوسط
بيني وبين الارض

رصاصة القلم
احبها اكثر من كل شيء :
في النهار تكتب لي الاشعار ،
التي أكون قد نظمتها في الليل .
هذا دفتر ملاحظاتي ،
وهذا قماش خيمتي ،
هذه منشفتي ،
وهذا خيطي .

**جونتر أيش**

(١) « من المزارع البعيدة »